المقدس والمدنس وأيديولوجيا العنف

في رواية עֲמָלֵק " عماليق " لـ " سيرج جولدمان " סרג' גולדמן دراسة نقدية

رامي عبد الحي محمد قابيل (*)

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى مقاربة ظاهرة العنف داخل النص المقدس العبري، وتحليل الاستراتيجيات المختلفة لمؤلفي الأسفار-المعنية بالبحث-لتحقيق الانزياح، والوصول بالنص إلى صيغته الحالية. ونعرض من خلالها لنوعين من القراءات للنص: القراءة المغلقة التي تتمسك بكلية الموضوع ووحدته، وتنظر إلى المقدس ككل متكامل لا يمكن فهمه بمعزل عن الشمولية التي تنتظم أجزاءه بالكلية، وهي القراءة السائدة التي تنطلق من القدسية، وتؤمن بالذات المتعالية كمصدر رئيس للمقدس، وأنه قد وصلنا متواترًا، وأن هذه الذات السامية هي المسؤولة عن كل حرف داخل هذا النص. وبالتالي القول بالقراءة الحرفية التي تأخذ بظاهر النص.

والقراءة الحرة التي لا تعترف بظاهر النص، ولا وحدته، ولا كليته، وتتبنى القراءة التفكيكية التي تجزئ النص إلى وحدات صغرى تتعاطى معها كل على حدة، وتحاول انطلاقًا من مبدأ الشك الكشف عن التناقضات السياقية والنصية التي تخلخل النص وتحول دون اتساق أجزائه وتماسكها، وعلاقة ذلك بالسياق التاريخي والديني لمؤلفي الأسفار، والتساؤل عن التناقض المحتمل بين رؤيتهم والمنزع التوحيدي المفترض للمقدس، وهو ما يجعلنا إزاء مواجهة داخل الدراسة بين نوعين من الفكر: الليبرالي من جانب، والأصولي من جانب آخر، وكل ذلك عبر محاكمة مفترضة للنص المقدس.

الكلمات المفتاحية: نقد العهد القديم، العنف الديني، المقدس والمدنس، الإبادة الجماعية

(*) قسم اللغات الشرقية - كلية الآداب - جامعة سوهاج

Abstract

The study aims to explore the violence phenomenon in the Hebrew sacred text, analyze the various strategies adopted by the authors of biblical canons, in the research, to achieve deviation, and make the text in its current form. It presents two readings. First, closed reading is concerned with the unity of the topic and tackles the sacred text as integrated, which cannot be understood in isolation from its comprehensive parts. It is the prevailing reading, which starts from sacredness and believes in the transcendent self as the primary source of the sacred text revealed in succession. Additionally, this transcendent self is responsible for every letter in the text. Hence, literal reading is required, and the apparent (literal) meaning is considered. Second, free reading does not consider the text's apparent (literal) meaning, unity, or comprehensiveness. It adopts deconstructive reading, which divides the text into smaller units that are dealt with separately. Based on the principle of doubt, it aims to reveal the contextual and textual contradictions undermining the text and preventing the cohesion and coherence of its parts, determine their relation to the historical and religious context of the authors of the biblical canons, question the potential contradiction between their vision and the presumed monotheistic tendency of the sacred, creating a kind of contradiction between two types of thinking: The liberal and fundamentalist on the other, through an imaginary trial of the sacred text .

Keywords: Criticism of the Old Testament; Religious violence; Sacred and secular; Religious phenomenon; Genocide

مقدمة

تلعب ثنائية المقدس والمدنس دورًا محوريًا في كشف جوهر النص الديني، ويغدو من العسير التعاطي مع هذه النصوص بمعزل عن هذه الثنائية التي تمثل نقطة ارتكاز جوهرية في مقاربة الظاهرة الدينية، فلا دين بدون مقدس ومدنس، ولا معنى للألوهية دون التمييز بينهما(١)، ولا مجال للحديث عن أحدهما دون الحديث عن الآخر، فإذا كان المقدس هو الكلي والمتعالي والمتجاوز، الذي " لا يقبل الترويض ولا التجزئة، وأنه مصان من مطامع الدنيوي الطامح لإفساده وتقويضه إلى حد وصف المقدس في حد ذاته بأنه عالم المحرم والممنوع"(٢)، فإننا نجد في هذا التعريف ذاته ما يؤدي بنا إلى المدنس، الي تعد علاقته بالمقدس بمثابة لازمة وتركيبة مسكوكة مترابطة في المصادر الغربية(٣). ويمثل الاستقطاب الحاصل بين شقي هذه الثنائية محور اهتمام النصوص الإبداعية، لما يؤشر إليه هذا الاستقطاب من ثيمة "الصراع" التي لا تقف حدودها عند الصراع بين المقدس والمدنس داخل النص الديني فحسب، لكنها تمتد كذلك خارجه إلى الصراع بين الأفكار المتعارضة والمعارضة للأيديولوجيا الدينية نفسها والمحاكمة لسلطة النص.

وتعد تقنية " المحاكمة " من التقنيات الشائعة التي يلجأ إليها المبدعون لعرض آرائهم وتصوراتهم حول الإشكالية التي يتصدى عملهم الإبداعي لتناولها بالنقد والتحليل. لما توفره هذه التقنية من إمكانيات لعرض الرأي والرأي الآخر عبر الدفوع التي يقدمها محاميا الدفاع والاتهام، ومرورًا بشهادات الشخوص المعاصرة للحدث، وانتهاء بصدور الحكم بالإدانة أو البراءة. فالقراءة الفلسفية ووحدة الموضوع تمثلان السمت الغالب المميز لهذا النوع من الأعمال الإبداعية، وهو ما يمكن أن نلمسه في العديد من النصوص المسرحية والروائية التي تبرز فيها هاتان السمتان بشكل واضح وبيّن. وعلى الرغم من أن هذه التقنية مسرحية بالأساس إلا أننا نجدها تظهر أيضًا في العديد

---

(1) Hastings, James. encyclopedia of religion and ethics, Vol. 6. Charles Scribner' Sons. New York 1913. P. 731.

(٢) هشام دلوم. الإنسان والقداسة في المقاربة الفلسفية الدينية عند مارسا إلياد. دروب للنشر والتوزيع، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع. عمان ٢٠١٦. ص ٢٤.

(٣) عبد الناصر سلطان محسن، عبدالله عوض العجمي. المفهوم الغربي للمقدس والمدنس في العصر الحديث. مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، مجلد ٣٠، عدد ١٠٣. مجلس النشر العلمي- جامعة الكويت. الكويت ٢٠١٥. ص ٢٠٢.

من الأعمال الروائية التي يغلب عليها الطابع الفكري والشكل المسرحي من حيث التركيز على الحوار، ووحدة الزمان والمكان المحددين تقريبًا بزمن المحاكمة وقاعة المحكمة، والشخصيات المرتبطة تاريخيًا واجتماعيًا بموضوع المحاكمة.

ووفق هذا الإطار تأتي دراستنا لرواية "عملاق" [١] للأديب الإسرائيلي الفرنسي " سيرج جولدمان "[٢]، حيث يمثل العنف الديني داخل التناخ الإشكالية التي يقف عندها الأديب مفصلًا لها ومحاولًا البحث عن جذورها ومراميها، ومتسائلًا عن علاقة الرب بهذا العنف، وعن مدى مسؤوليته عن الممارسات التي ارتكبت واستندت إلى هذه النصوص المقدسة المنسوبة إليه. ومن العتبة الأولى للنص، أي العنوان، يتجلى موضوع المحاكمة وهو الإبادة الجماعية التي تعرض لها شعب عملاق[٣]، المعاصر

(١) גולמן, סרג'. עמלק. מנדלי, שניים שרותי ניהול, 2015.

(٢) سيرج جولدمان: أديب إسرائيلي، من مواليد فرنسا ١٩٦٣، هاجر إلى إسرائيل سنة ١٩٩٠. حصل على درجة الماجستير في الفكر الإسرائيلي والمقرا من المعهد اللاهوتي اليهودي في نيويورك، وعلى درجة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة بر–إيلان. وحصلت النسخة الفرنسية من روايته "عملاق" على جائزة معرض الكتاب بباريس لأفضل عمل روائي أول. وتعد رواية "عملاق" عمله الروائي الأول باللغة العبرية.

ניתן למצוא באתר : http://www.e–vrit.co.il/author/2219 . נכנס ב : 2024 – 09 - 27 .

(٣) يتوزع المتن الحكائي لسردية عملاق في التناخ عبر أسفار عدة، تمتد من التكوين وحتى أخبار الأيام الأول، ونتعرف من خلال هذه السردية وبشكل متقطع على أصول هذا الشعب الصحراوي، وانحداره من نسل عيسو، من ابنه أليفاز وسريته تمناع (التكوين ٣٦: ١٢). ثم تبسط الأسفار الحدود المكانية والجغرافية لعملاق التي امتدت حتى تخوم يهودا والنقب وهددت من هناك المستوطنات اليهودية القريبة (العدد ١٣:٢٩، صموئيل الأول ٢٧:٨)، ووصولهم في ذروة تمددهم إلى عبر الأردن وأرض إفرايم (القضاة ١٢:١٥)، وتمركزهم في مرحلة عنفوانهم التي امتددت منذ الخروج من مصر وحتى اعتلاء شاؤول للعرش على حدود سيناء وبجوار قادش. وتصف الأسفار عملاق كـ "أول الجوييم" (العدد ٢٤:٢٠)، و"العدو الأول لبني إسرائيل" (الخروج ١٧: ٨–١٣) الذي حاربهم عند خروجهم من مصر. ثم تحدثنا الأسفار عن انتصارات وهزائم عملاق حتى انكسارهم النهائي على يد داود، وقضاء الملك حزقياهو ملك يهودا على من تبقى منهم كيفما يعرض سفر أخبار الأيام الأول (٤: ٤٢–٤٣). للمزيد انظر : האנציקלופדיה העברית: כללית, יהודית וארצישראלית, כרך

لخروج بني إسرائيل من مصر، حيث يأتي وعد الرب في سفر الخروج بمحو ذكرى عملاق وإبادتهم جيلًا بعد جيل: " إني سوف أمحو ذكرى عملاق من تحت السماء ... للرب حرب مع عملاق من دور إلى دور "(الاصحاح ١٧: ١٤,١٦). وفي سفر التثنية يفوض الرب بني إسرائيل ويرخص لهم ارتكاب جريمة الإبادة الجماعية باسمه ضد عملاق : " اذكر ما فعله بك عماليق في الطريق عند خروجك من مصر. كيف لاقاك في الطريق وقطع من مؤخرك كل المستضعفين وراءك وأنت كليل ومتعب ... تمحو ذكرى عماليق من تحت السماء. لا تنس " (الإصحاح ٢٥: ١٧, ١٩)، وهي ما تعرف باسم " وصية إبادة عملاق".

وهي الإبادة التي تتحقق بالفعل في عهدي شاؤول وداود، على النحو الذي يرد في سفر صموئيل الأول (الإصحاحين ١٥, ٢٧). وبذلك تكتمل أركان الإبادة الجماعية بحلقاتها كافة، الركن التشريعي المتمثل في النص التشريعي لاتفاقية منع جريمة الإبادة الجماعية الذي أخذت به المحكمة الجنائية الدولية سنة ١٩٤٨ والذي يُعرف الإبادة الجماعية بـ " التدمير الكلي أو الجزئي لجماعة قومية أو إثنية أو عنصرية أو دينية بارتكاب أحد الأفعال التي حددتها الاتفاقية على سبيل الحصر مثل قتل أعضاء من الجماعة أو إلحاق أذى جسدي أو روحي بهم، أو إخضاعهم لظروف معيشة يراد بها تدمير الجماعة "[١] والركن المعنوي المعني بإبانة القصدية الجنائية للمتهم من حيث العلم والإرادة والرغبة في الإهلاك الجسدي والبيولوجي والثقافي للمجني عليه، ثم أخيرًا الركن المادي أي وقوع جريمة الإبادة بأشكالها المختلفة على أرض الواقع[٢].

وبصرف النظر عن الجانب القانوني لأننا نتحدث عن مجرد حالة افتراضية أقرب للفانتازيا فإنه تبرز أهمية دراسة نص "عملاق" ليس فقط للسجال الذي يدور رحاه على مدار النص حول الشرعنة ومسحة القداسة التي أعطيت للعنف تجاه الآخر

עשרים ושש, סבות-עמר אבן אל-עאץ. חברה להוצאת אנציקלופדיות. ירושלים תשמ"ד. עמ' 1019 – 1020.

(١) أحمد محمد عبد الرؤوف المنيفي. جريمة الإبادة الجماعية للفلسطينيين في غزة وفقًا لنظام المحكمة الجنائية الدولية. المؤلف. القاهرة ٢٠٢٣. ص ١٤ – ١٥. متاح في : http://www.noor-book.com . دخول في : ٢٠٢٤ – ٠٩ – ١٩ .

(٢) سويسي محمد الصغير. جريمة الإبادة الجماعية: دوافعها وأشكالها. دفاتر السياسة والقانون، دورية دولية متخصصة محكمة في الحقوق والعلوم السياسية. جامعة قاصدي مرباح ورقلة. ورقلة ٢٠١٢. ص ٢٠٦ – ٢١٠.

المختلف لكن أيضًا للمآلات التي أدى إليها التوسيع المستقبلي لحدود مصطلح عملاق من التحديد والقصر القديم على شعب معين بحدوده الأسطورية الواردة في التناخ إلى التعميم والتجريد واعتباره المؤشر للشر الكلي والمطلق عند الحسيديم والقباليين، حيث أصبح عملاق التعبير عن تجسد قوى الشر الذي يتحول معه الصراع إلى صراع بين قوى القداسة من ناحية وقوى الشر الميتافيزيقية المقابلة لها من ناحيةأخرى(١). وأدت هذه الرؤيا الفضفاضة للمتصوفة اليهود إلى فتح الباب واسعًا أمام الفقهاء اليهود لوضع معظم الشعوب التي حدث صدام بينها وبين اليهود تحت المصطلح "عملاق"، ويكفي في هذا الصدد أن نتأمل تصريح رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو في خطابه لجنود الجيش الإسرائيلي بعد أحداث السابع من أكتوبر ٢٠٢٣ : " إن نضالنا الحالي ضد قتلة حماس يمثل فصلًا آخر ضمن فصول نضالنا القومي على مر الأجيال ' تذكروا ما فعله بكم عملاق ' "(٢)، وهو ما يكشف عن مدى تغلغل عقلية عملاق داخل الثقافة الإسرائيلية، ويعطي أهمية خاصة لهذا النص السردي الذي يحاول تتبع الرؤى المختلفة لصورة عملاق داخل المخيلة الإسرائيلية.

وعلى الرغم من العدد الوفير من الدراسات التي تطرقت إلى ثيمة " العنف " سواء داخل النصوص الدينية اليهودية، أو في الأعمال الإبداعية العبرية على اختلافها، إلا أننا نحسب فرادة المعالجة المقدمة في هذه الدراسة، سواء من حيث جدية الموضوع الذي تطرحه، أو من حيث قدرتها على الربط بين الرؤيتين العلمانية والدينية لظاهرة العنف في العهد القديم وتجلياتها داخل النص وخارجه.

ونعتمد في قراءتنا لهذا النص الروائي على المنهج الوصفي التحليلي، ونحاول من خلاله مقاربة رؤية الأديب للظاهرة الدينية، وتقديم إجابات على أهم الأسئلة التي يطرحها النص:

-هل النص المقدس ثابت وجامد أم متطور ويقبل القراءات المتعددة والتأويل؟

-ما حدود العلاقة بين المقدس والمدنس، وهل لأحدهما أن يوظف الآخر؟

---

(١) לוביץ, רונן. מחיית עמלק והאוייב הערבי בין פרשני המקרא לרבני זמננו. שנתון, כרך כב, תשע"ז. עמ' 47.

(٢) ברסקי, אנה. נתניהו באגרת לחיילים: " זכור את אשר עשה לך עמלק, נביס את הרוע". 03-11-2023. ניתן למצוא באתר :
http://www.maariv.co.il/news/politics/Article=1049593 . נכנס ב : 20-09-2024 .

-هل النص المقدس منزه عن الجرائم التي ارتكبت باسمه؟

-ما مدى مسؤولية الرب عن انحراف أتباعه في تفسير النص المقدس؟

ملخص الرواية

يعرض نص " عملاق " لسيرج جولدمان لإطار قصصي جدلي وافتراضي في المقام الأول يحاول أن يتخيل ما الذي يمكن أن يحدث لو قام أحدهم في مكان ما وزمان ما برفع قضية ضد الرب، داخل المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان بفرنسا، يتهمه فيها بارتكاب جريمة الإبادة الجماعية ضد شعب " عملاق ". وباستثناء فرنسا والمحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان اللتين تدور بداخلهما أحداث مرافعات القضية، فإن كل شيء آخر يأتي مجهلًا داخل النص، بدءًا بأسماء الشخصيات، وزمن النص، وانتماءات الموكلين الذين رفعوا هذه القضية، وانتهاءً بالحبكة ذاتها التي تخلو من أية أحداث بخلاف مرافعات ممثلي الادعاء والاتهام.

وبالتبعية يصبح دور الراوي مقتصرًا على تبديل الأصوات بين ممثل الاتهام الذي يحاول جاهدا إثبات ضلوع المتهم/الرب في كل الجرائم التي لحقت ليس فقط بشعب " عملاق " لكن أيضًا بكل ما يسعه لإدانة المتهم من واقع نص التناخ نفسه، ثم رئيسة المحكمة التي يتركز دورها في الاستيضاح، واستبيان ما غمض من حديث كل من ممثلي الاتهام، والدفاع، والنطق بالحكم في نهايات الجلسات، والصحفيين بطرحهم للأسئلة وإجابات المعنيين عليها، ثم أخيرًا ممثل الدفاع الذي يفسح له الراوي الحيز الأكبر لرفع الاتهام عن الرب وإثبات براءته في نهاية النص.

توطئة

يؤطر نص " عملاق " لما يمكن تسميته إعادة قراءة النص التناخي وفقًا لأسس ومنطلقات الفكر الليبرالي بما يشتمل هذا الفكر من موتيفات حداثية حول " حرية الفكر " ، و" حرية العبادة " ، و" حقوق الإنسان " و" تداول السلطة " .. وهي أفكار ليست بعيدة من حيث المبدأ عن الدين كدعوى لاعادة تنظيم المجتمع البشري بما يحقق اقترابه أكثر من حالة الكمال ، لكنها أفكار لا تراعي في الوقت نفسه ظروف إنتاج هذا النص، وملابساته التاريخية، والحالة الحضارية التي اكتنفت وأدت للانتقال من التداول الشفهي إلى النص المكتوب . ويبدو في هذا الصدد الاختلاف بين القراءة الأصولية الحرفية من جهة، والقراءة التفسيرية التأويلية التي تحاول النأي بالنص المقدس بعيدًا عن الدوجما والالتزام العقائدي. والخروج من عباءة العنف والتطرف من جهة أخرى.

أولًا: الأصولية والعنف المقدس

عبر مرافعته القصيرة، وهوقصر معني ومحسوب، ويعبر عن الانحياز لطرف الدفاع يحاول ممثل الادعاء إثبات جريمة الإبادة الجماعية على المتهم كمحرض وشريك وفاعل أصلي، وأن يستخدم منهج القراءة الحرفية لإدانته وإقامة الحجة عليه من أقواله عينها التي يشهد أتباعه بنسبتها إليه. ووفقا لهذه القراءة المغلقة، يأتي ادعاء الرب/المتهم امتلاك الحقيقة المطلقة، ورفضه عبادة العجل الذهبي في أعقاب التجلي لموسى على جبل سيناء، ولجوئه إلى العنف كأساس لإقصاء الآخر المختلف، وهو ما يؤدي إلى قتل ثلاثة آلاف من الخارجين على سلطته دون محاكمة أو حتى إعطائهم الفرصة للدفاع عن أنفسهم، كما يبين ممثل الادعاء:

" "מִי לַיהוָה אֵלָי" (פסוק כו') קרא אז משה. הלוויים, קבוצה קנאית, נענו כולם בחיוב לקריאתו: הם הרגו בחרב שלושת אלפים מתנגדים ... בלי להתחשב בקשרי ידידות ובקשרי משפחה שהיו יכולים להיות ביניהם " [1] .

"وقال موسى : " ومن للرب[2] فإلي ". فلبى اللاويون، وهم جماعة من المتعصبين نداءه، وقتلوا بالسيف ثلاثة آلاف من المعارضين ... دون أي اعتبار لصلات الصداقة

(١) גולמן, סרג'. עמלק. שם. עמ' 26 – 27.

(٢) نلاحظ في هذا الشاهد، ثم في الشواهد اللاحقة التي سنتطرق إليها من النص، استخدام الأديب للمفردة יְהוָה للتعبير عن اسم الرب في الاقتباسات التوراتية بدلاً من الاسم المعتاد יְהוָה. حيث أدى التحريم الذي يحظر نطق الاسم יהוה، باعتباره أكثر أسماء الرب قداسة في اليهودية إلى كتابة الاسم יהוה ونطقه "أدوناي" אֲדֹנָי ، وتحديد استخدامات الاسم أدوناي وقصرها على الصلاة، والدراسة، وقراءة التوراة. وفي مرحلة لاحقة حور الاسم أدوناي بالتبعية وأصبح ينطق אדושם أو השם، على غرار تحريم نطق اسم الإله אלוהים وتحوير نطقه إلى אלוקים. وكان من الاع أيًا كتابة الاسم יהוה بالحروف العبرية ה' أو י' ، ثم بالغوا في ذلك واقتصروا في كتابته بالحروف على ה'. وهناك أيضًا من بالغوا أكثر في التعظيم، واعتبروا أن الهاء بها قدر من التحريم، وأصبحوا يكتبونه بحرف الدال ד'. وفي المراحل المتأخرة ظهر أيضًا من يكتبون الاسم الصريح بتحريف جديد ידוד أو יקוק. كما ظهرت أيضًا أسماء جديدة للإشارة إلى اسم الرب مثل "ברוך קדוש הוא"، "המקום"، "הגבורה". وأعتقد أن قصدية المؤلف من استخدام ידוד تنبع من سعيه إلى أن يدرأ عن نفسه شبهة الإلحاد والتجديف، ومن رغبته في تأكيد انطلاقه من صالح اليهودية وأنه ليس خصمًا أو عدوًا لها.
יצחקי, ידידיה. בראש גלוי: יהדות כתרבות- היבטים חדשים. ספרות פועלים-הקיבוץ המאוחד. הדפסה שנייה. בני ברק 2011. עמ' 240.

والدم التي قد تربطهم بهم "[١].

وعلى العكس من التسامح الذي يُعد صفة أصيلة في الديانات المنغلقة التي تؤمن بإله حصري خاص بها وحدها، وهي سمة تنطبق رأسًا على الانغلاق التوحيدي اليهودي الذي يرى أن " يهوه " יהווה إله خاص باليهود وحدهم، والإله المنتصر على بقية الآلهة كيفما يتجلى في كلمة אלוהים ؛ يأتي التعصب كسمة تميز الديانات العالمية التي تؤمن بالإله الكلي، وترفض أية آلهة دونه، ونجده في الأوصاف التي تخلعها التوراه على الاسم " إلوهيم ". ويرى الباحث اليهودي " شراجا بيك " שרגא ביק أن اليهودية تجمع وفق هذا الصدد بين سمات الأديان المنغلقة والأديان العالمية على حد سواء. ويمكن تفسير ذلك في ضوء المرحلة الانتقالية في برية سيناء، ومتطلبات الظرف التاريخي الذي استدعى الاصطفاف، والقضاء على الأصوات المعارضة، والاحتشاد وراء الرأي الواحد استعدادًا للانتقال من العبودية والخضوع على أرض مصر إلى التوسع والإخضاع في أرض فلسطين، وهو انتقال لا يترك مجالًا للتعددية وحرية الرأي[٢].

ويفضي الربط بين العنف والنص إلى تشكك ممثل الادعاء في صحة نسبة النص التناخي إلى الرب، وإلى تحفظه على جوهر عملية العبادة ذاتها كقرينة بالإجبار ونفي حرية الاختيار. والمعني في ذلك تلك العلاقة التي تجمع بين كل من الرب مصدر الرسالة، والراوي/النبي الذي لا يمثل وفقا للعلمانية المتطرفة- كسمت رئيسي مميز للفكر الليبرالي- أكثر من مجرد زعيم ديني لديه مصلحة مباشرة في تفسير أقوال الرب بما يحقق زعامته، ثم أخيرًا الرسالة التي يؤدي صدورها على هذا النحو إلى تشريع العنف، وإضفاء القداسة عليه، أو حتى افتراض كتابة الرسالة في مرحلة لاحقة ثم وضعها على لسان الرب لتبرير التنكيل بالخصوم والمنافسين المحتملين. فيتساءل ممثل الادعاء بما لا يخلو من إثارة الدهشة والإيحاء بالمنطقية في ذات الآن:

" האם נוכל להיות בטוחים שטקסט זה הוא אכן פרי עטו של הנתבע? " [٣] .

"هل بوسعنا القطع يقينًا بنسبة هذا النص للمدعى عليه ؟ ".

---

(١) اعتمدنا في الترجمة من التناخ بشكل عام على ترجمة دار الكتاب المقدس. القاهرة ١٩٧٠.

(٢) ביק, שרגא. רדיקליזם שם, שמרנות כאן: פלורליזם דתי, חילון ושאלות של כוח בהגותו של הרב יוחנן זקס. בתוך: מחקרי ירושלים במחשבת ישראל, כרך 26. המכון למדעי היהדות ע"ש מנדל. ירושלים 2001. עמ' 524- 525.

(٣) גולמן, סרג'. עמלק. שם. עמ' 26.

أي هل يمكن أن تصدر مثل هذه الدعوى للعنف من الرب ؟ ويعتبر هذا في الواقع جوهر نقد العهد القديم، المتمثل في نفي القداسة عن النص، واعتباره مجرد تجميع بشري لنص شفهي، ثم إعادة تشكيله من الذاكرة، كما يقول الباحث " جان لويس سكا " Jean-Louis Ska : " والأكثر أهمية أن الكتبة والنساخ كانوا يكتبون في أحايين كثيرة من الذاكرة، وليس من مصادر مكتوبة موثقة "[١]. وتبدو الإشكالية أكثر تعقيدًا في حالة الرغبة في العودة بالنص إلى صورته الأصلية، والتي يعتبرها باحثون في التناخ مثل " سبينوزا " و" ريتشارد سيمون " كما لو كانت تشبه محاولة استعادة البيضة بعد طبخها[٢].

إن إقصاء الآخر المختلف، ومصادرة الحق في الاختلاف،وقمع حرية العبادة، يمثلون بالنسبة للادعاء أيديولوجيا ممنهجة تتكرر باضطراد على مدار النص التناخي، وتدفع باتجاه الإبادة الجماعية أو التحريم חורמה بلفظ العهد القديم، وهو نوع من الأضاحي والتقدمة ليهوه[٣]، ويعني " إبادة كل شيء حي في المدينة التي تتعرض لتغلب " بني إسرائيل " عليها أو القوم الذين ينتصر عليهم هؤلاء، ومنع أن يأخذ منها

(1) Ska, Jean–Louis. The Book of Chronicles Through The Age. In: Jean, Jaeyoung and C.Jonker, Louis. Chronicles and The Priestly Literature of The Hebrew Bible. Walter De Greater GmbH. Berlin 2021. P. 46.

(٢) ברמן, יהושע. קלקוליו של חקר המקרא. השילוח, כתב עת ישראלי להגות ומדיניות, גיליון 7, כסלו תשע"ח- דצמבר 2017. עמ' 138.

(٣) تنقسم القرابين في اليهودية إجمالاً إلى نوعين رئيسين: قرابين الشكر وقرابين المغفرة. ويشير النوع الأول إلى القرابين التي تقدم للرب طمعا في رضاه واعترافاً بفضله، ويندرج تحتها قرابين "ذبيحة المحرقة" **עולה** وهي تقدم كلها للرب، وهي التي انبثقت عنها شعيرة "التحريم" كمجال للتضحية بالذات والآخر من أجل الرب، و"ذبيحة السلامة" **שלמים**. في حين يشير النوع الثاني إلى القرابين التي تقدم للكهنة كوسيط لمغفرة الرب عن ذنب بسيط وغير متعمد ويشار لها باسم "ذبيحة الإثم" **חטאת**، أو ذنب كبير ومتعمد ويطلق عليها في هذه الحالة اسم "ذبيحة الخطيئة" **אשם**، ويندرج تحت هذا النوع أيضا التقدمة النباتية التي تعرف باسم "العطية" **מנחה**.
בלברג, מירה. והפעם, ברגש: עיצובה של עבודת הקורבנות בין ספרות חז"ל לשיח הדתי–לאומי. תאוריה וביקורת, 46, קיץ 2016. עמ' 20.

أو منهم أي غنيمة بل يباد كل شيء فيها[١]. والتحريم في حد ذاته لا يمثل ابتداعًا خاصًا يتفرد به التناخ، لكنه امتداد لممارسات متنوعة شاعت في الشرق الأدنى القديم، وحاولت الربط بين القداسة والابادة، والنظر إلى التحريم كطقس ديني يتقرب به إلى الرب، مثلما فعل ميشع מישע ملك مؤاب الذي افتخر بانتزاعه لنابو من بني إسرائيل وتحريم قاطنيها مرضاة لإلهه عشتار كموش[٢].

ويتجلى العنف الديني والتفسير الحرفي للنص، أو الربط بين المقدس/النص الديني والمدنس/ الممارسات السياسية والاجتماعية اللاحقة على هذا النص، في حادثة إبادة عملاق كونها ليست مجرد حدث فردي انتهى بتحققه على مسرح التاريخ لكنه مصدر كل الشرور والأساس الأيديولوجي الذي سوف تبنى عليه كل الممارسات اللاحقة التي ستسعى لتوظيف المقدس في خدمة المدنس، على حد قول الادعاء:

" התביעה רואה בקיצוניות המגשימה עד תום הוראות אלה ובזוועה הנובעת מביצוען, את הערעין הקשה, את המקור הבלתי מעורער ואת ההשראה רווית הדם של כל מקרי הקנאות במהלך ההיסטוריה " [٣] .

" يعتبر الدفاع أن التطرف في تطبيق هذه الأوامر بحذافيرها رغم كل ما يؤدى إليه ذلك من كوارث، بمثابة النواة الصلبة، والمصدر الراسخ، والإلهام المخضب بالدماء، لكل أشكال التعصب على مدار التاريخ ".

وفي هذا الإطار يقدم الحاخام كوك الابن – منظر الصهيونية الدينية – فلسفة متكاملة لإبادة عملاق، فيعتبر أن وصية إبادة عملاق هي جزء لا يتجزأ من الاشتياق الطبيعي للجوهر الإلهي، وأن هذه الوصية ترسم الطريق السليم للتعبير عن هذا الاشتياق بطريقة عملية. فعملاق هو تجسيد الشر، والحرب ضده ضرورية للنجاة بهذا العالم

(١) عصام سخنين. الجريمة المقدسة: الإبادة الجماعية من أيديولوجيا الكتاب العبري إلى المشروع الصهيوني. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. بيروت ٢٠١٢. ص ٣٨.

(٢) אנציקלופדיה מקראית: אוצר הידיעות על המקרא ותקופתו, ג(חבב-יתת). הוצאת מוסד ביאליק. ירושלים 1965. עמ' 290.

(٣) גולמן, סרג'. עמלק. שם. עמ' 40 – 41.

البائس من بذور الشر وفساد العقل. وأن هذه الحرب ليست شخصية أو قومية، لكنها حرب عقيدة ومبدأ(١).

فالأيدولوجيا التي وضع عمادها المدعى عليه، الرب في الرواية، ستستغل لاحقًا، وفقًا لممثل الادعاء، من قبل كل الجماعات الدينية التي تسعى للوصول للسلطة، من أجل إزاحة منافسيها والتنكيل بخصومها، دون أي اعتبار للسياقات التاريخية والدينية والاجتماعية التي أدت إلى ظهور النص المكتوب وحدود توظيفه، فيقول الادعاء:

" בכל פעם שהשלטון היה נתון בידי חסידי האל, הם עשו בו, בסופו של דבר, שימוש אלים כלפי בני אדם אחרים. במילים אחרות, האידיאולוגיה, שפיתח הנתבע, ואנו חושבים שחשפנו את אחד המנגנונים העמוקים ביותר שלה, היא אידיאולוגיה של אלימות, של רצח ושל כפיה, למרות הכחשותיהם הצבועות או התמימות של אנשים מסוימים " (٢) .

" في كل مرة تستقر فيها السلطة بين يدي أتباع الرب، فإنهم يوظفونها في النهاية باتجاه العنف إزاء غيرهم من البشر. وبعبارة أخرى فإن الأيدولوجيا التي طورها المدعى عليه- ونحسب أننا أمطنا اللثام عن إحدى أكثر آلياتها عمقا- تمثل أيدولوجيا عنف، وقتل، وإكراه، رغم الإنكار الساذج أو المدعي من قبل البعض."

وكحل، رغم صعوبة تحقيق ذلك على أرض الواقع، يقترح الادعاء فكرة نزع الشرعية والقداسة عن النصوص الدينية، واعتبارها مجرد نصوص بشرية، أو على أفضل الأحوال إحدى التفاسير المدونة لكلام الرب، حتى لا تستغل هذه النصوص من قبل الأفراد في العمليات الاستشهادية أو الموت باسم الرب، أو من قبل الجماعات المتطرفة، أو حتى من قبل الأنظمة الأصولية التي تستخدم الدين بما يتعارض مع القيم الليبرالية الراسخة داخل الدول التي يصفها النص بالمستنيرة، كيفما يصر ممثل الادعاء:

" התביעה עומדת על כך שתוסר כל לגיטימיות מהחוקים פרי עטו של הנתבע שייסדו והצדיקו את אותם פשעים, בפני בתי המשפט של האומות הנאורות. מהרגע שיצהירו בבירור על חוקים אלה כמנוגדים למשפט הבין לאומי, לא ניתן

(١) רוזנק, אבינועם. מוסר, מלחמה ושלום במשנת הרב קוק ותלמידיו: המפגש בין אוטופיה למציאות. מים מדליו, שנתון המכללה הדתית למורים ע"ש ליפשיץ, 26-25, תשע"ד- תשע"ה, ירושלים. עמ' 237.
(٢) גולמן, סרג'. עמלק. שם. עמ' 57.

יהיה יותר לשאוב לגיטימיות מהטקסטים הבלתי נאורים הללו, בין עבור פרט או מדינה " [١] .

" يصر الادعاء على نزع أية شرعية عن القوانين المنسوبة إلى المدعى عليه، والتي أرست وبررت تلك الجرائم، أمام محكمة الأمم المستنيرة. وبمجرد أن يجري الإعلان عن هذه القوانين باعتبارها مناقضة للقانون الدولي، لن يغدو بالإمكان استقاء الشرعية من هذه النصوص غير المستنيرة، لا للأفراد ولا للدول ".

وهو ما سعت اليهودية الإصلاحية إلى تحقيقه بالفعل، كما يقول الدكتور عبد الوهاب المسيري : "ويمكن القول بأن جوهر مشروع اليهودية الإصلاحية هو محاولة نزع القداسة عن كثير من المعتقدات الدينية اليهودية ووضعها في إطار تاريخي، وذلك حتى يتسنى التمييز بين ما هو مطلق ومتحرر من الزمان والمكان، وبين ما هو نسبي ومرتبط بهما. وهي عملية نجم عنها تضييق نطاق المطلق والمقدس وتوسيع نطاق النسبي"[٢].

وإذا كان نص " عملاق " لسيرج جولدمان يسعى إلى التعاطي مع النص المقدس كنص بشري، أو كنص ديني حمّال أوجه وذي قراءات متباينة، فإن الحاجة تستدعي مقاربته وفق منهج جديد يرفض " كلية النص " ويفككه إلى وحدات صغرى يجري التعامل معها على حدة وصولًا إلى منهجية موحدة تشتمل النص برمته.

ثانيًا: القراءة الحرة: المسؤولية الجنائية وتفكيك النص

هل يمكن أن يؤدي قطع الصلة بين النص وكاتبه إلى تبرئة المدعى عليه من جرائم الإبادة الجماعية المنسوبة إليه؟ هذا في الواقع ما يحاول ممثل الدفاع تحقيقه عبر فك الارتباط بين النص وفهمه لإخلاء ساحة موكله وتحميل المسؤولية الجنائية على كاهل التأويل، مستعينًا في ذلك بالآليات المتبعة في تفكيك النصوص إلى وحدات صغرى وإقامة شبكة من العلاقات، والروابط العضوية بينها للوصول في النهاية إلى المعنى الكلي الذي يمثل أحد القراءات المقترحة لفهم النص. وتؤشر التفكيكية إلى ذلك التكنيك في معالجة النصوص الذي يرفض القطعية ويقابلها بالشك، ويعتبر النص مجموعا غير متجانس وليس وحدة كلية ذات معنى واحد ووحيد، لكنه مجموعة قراءات متعددة للنص الملئ بالتناقضات الداخلية، والقوى المتناثرة التي تساعد القارئ على تقويضه وتجزئته، وملء العلامات الفارغة والفجوات العديدة المتناثرة على مداره. فليست لدينا

(١) גולמן, סרג'. עמלק. שם. עמ' 66.

(٢) عبد الوهاب المسيري. العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، المجلد الثاني. دار الشروق. القاهرة ٢٠٠٢. ص ٣٢٦.

قراءة وحيدة، لكن قراءات عدة، وكل قراءة هي بالضرورة ودائمًا إساءة قراءة، وهو ما يصنع العلاقة الجدلية القائمة بين النص وتفسيره، أو بين الدال والمدلول، وبالتالي التأويل والتفسير كأحد القراءات المقترحة للنص(١).ولتفكيكه تطلب الأمر ابتداءً نزع صفة القداسة عنه واعتباره نصًا بشريًا يخضع للمساءلة ويقبل التحقق والتثبت، كيفما يتضح من الحوار بين ممثل الدفاع ورئيسة المحكمة:

""כדי להגן על מרשי, אני מציע להצביע על אפשרות קיומה של הבנה אחרת של נתוני הטקסט, המעניקה למעשה לכל אחד את הרצון החופשי ואת האחריות האישית."

- במובן מסוים אתה חוזר על התבנית שהעלה שפינוזה! אתה מפרק את אחדות הטקסט, אתה מצהיר שאינו אלא יצירה אנושית, ומכאן אתה מוכיח את אשמתו של מי מבצע את פסקי הדין הבלתי ניתנים לערעור של התנ"ך!
- לא הבנת אותי נכון. כמובן שהתבנית שאת מציגה קיימת, אבל לא על זה מדובר כאן." (٢) .

"في سبيلي للدفاع عن موكلي أود الإشارة إلى وجود فهم مغاير لمعطيات النص، يمنح كل شخص الحرية والمسؤولية الشخصية.

-أنت تكرر تقريبًا الطرح الذي سبق وأن طرحه سبينوزا! فتفكك وحدة النص، وتعتبره مجرد إبداع بشري، وبالتالي إدانتك لكل من يطبق الأحكام غير القابلة للنقض الموجودة في التناخ!

-لم تفهميني بشكل سليم. إذ رغم صحة الطرح الذي تقدمينه، إلا أنه ليس المقصود هنا".

فالسلطة ليست للنص، لكنها لقارئ النص الذي " بمقدوره أن يضفي على النص ما يريد من أفكار، ويطوعه وفق اختياراته بما يقدمه من معان، حتى يستجيب النص القديم للقيم الجديدة في المجتمع ولظروف قارئ النص. وهو ما كان منطلقه لتأنيس النصوص المقدسة بنقل هذه النصوص من الوضع الإلهي إلى الوضع البشري وإخضاعها

(١) فهد بن محمد القرشي. التفكيكية مفهومها-أصولها-تطورها-نقدها. مجلة أبحاث، العدد ١٩، جامعة الحديدة، سبتمبر ٢٠٢٠. ص ٢٣٧.
(٢) גולמן, סרג'. עמלק. שם. עמ' 80.

لمختلف القواعد والقوانين التي تحكم كافة النصوص "[١]. ولأن نص التناخ نص مفتوح فإنه لا يمثل كلمة الرب الأخيرة لكن كلمته الأولى مضافًا إليها كل الاجتهادات البشرية التي حاولت البحث عن كلمة الرب وتفسيرها بما يتسق مع الظرف التاريخي الذي استدعى قراءة معينة دون غيرها, تلك التي ترى أن مؤلف النص وليس النص هو المسؤول عن المظالم التي ارتكبت وفقًا للرؤيا التي يقدمها ممثل الدفاع:

" ספר זה בכללותו הוא פרי חיפוש קדום אחר דבר האל, ולא כפי שלעתים קרובות נוטים בטעות להאמין, הצורה המוגמרת שלו. ננסה לחשוף את מנגנון קביעת דברי האל האל האלה, ולהראות בסיוע הוכחות, שדברים אלה כפי שהובנו על ידי בני האדם על כל מעלותיהם וחסרונותיהם, תואמים את חוקיה של הפסיכולוגיה האנושית. אין זה דווקא השימוש לרעה בדבריו של האל שעלול לגרום לעוולות שהזכיר עמיתי, כי אם כך היה מצפונו של מחבר דברים אלה לבטח מציק לו שלא צפה את ההתדרדרות הזו" [٢] .

"هذا الكتاب برمته نتاج البحث المستمر عن كلمة الرب، وليس الصورة الكاملة لها كيفما تصورها البعض أحيانًا على نحو خاطئ. وسنحاول أن نبين الآلية التي أقرت كلمات الرب وفقًا لها، والكشف بالدليل أن هذه الكلمات- كيفما فهمها البشر بكل مميزاتهم وعيوبهم- تتطابق مع قوانين النفس البشرية. وكيف أن المظالم التي ارتكبت والتي أشار إليها زميلي لم تكن بسبب التوظيف الخاطئ لكلام الرب، لكنها كانت بسبب مؤلف هذا الكلمات الذي لم يفتأ يؤنبه ضميره لأنه لم يتخيل أن تتدهور الأمور إلى هذا الحد".

ولأننا نتحدث عن نص متطور يحمل في داخله قراءات متعددة للحدث الواحد الذي انتقل على نحو شفهي وخضع للرؤى المتباينة التي يمليها الظرف التاريخي، فإننا كثيرًا ما نجد داخل التناخ مقاربات متعددة تعبر عن مواقف أيديولوجية متناقضة ورغم ذلك تتجاور سويا داخل النص الواحد، وتكشف عن انحيازات المحرر העורך أو الجامع المتحيز الذي جمع النصوص المتداولة ووضعها معًا كتسجيل للمواقف المتباينة في

(١) محمد بنعمر. التأويلية وقراءة النص الديني. التفاهم، المجلد ١٥، العدد ٥٧-٥٨. وزارة الأوقاف والشؤون الدينية. مسقط ٢٠١٧. ص ٢٦-٢٧.

(٢) גולמן, סרג'. עמלק. שם. עמ' 68-67.

عصره[١]. وبالتالي فإن " الحديث عن تطور الديانة والنظرة إلى الإله وطبيعته يصبح أمرًا طبيعيًا في ظل ما بين أيدينا من نصوص "[٢]. وهو ما يطرح بدوره التساؤل حول كنه المقدس! هل هو النص المكتوب الذي يعتقد ممثل الدفاع أنه ليس أكثر من تفسير باراجماتي لكلمة الرب، أم النص الشفهي الذي تردد على لسان الأنبياء ومثل الشك السبب الرئيس في اختفائه وفي اندثار النبوة وظهور النص المكتوب، كيفما يقول ممثل الدفاع:

" למשבר האמון הפוגע בנבואה יהיה השפעה שתוביל לבסוף להיעלמותה. דבר זה אינו גורע במאומה מערך המסר הרוחני של עדותם של הנביאים, שהשאירו לנו טקסטים מופלאים וידעו להטות את המחשבה הדתית והמוסרית של האנושות כולה. יחד עם זאת, היום אנו יודעים כי הטייה זו התקבלה אך ורק בדיעבד, כלומר רק נביא שנבואותיו התגשמו בפועל הצליח להשפיע על רוח העם" [٣] .

"سيكون لأزمة الثقة في النبوءة التأثير اللاحق الذي سيؤدي إلى اندثارها. وهو ما لا يقلل في شيء من قيمة الرسالة الروحانية لشهادة الأنبياء، الذين تركوا لنا نصوصا رائعة ونجحوا في تغيير دفة الفكر الديني والاخلاقي للإنسانية كلها. لكننا نعلم اليوم أن هذا التغيير لم يغدو مقبولًا إلا فيما بعد، أي أنه فقط النبي الذي تحققت نبوءاته على أرض الواقع هو الذي نجح في التأثير على روح الشعب"

فالنبي هو مجرد وسيط، أو حامل للرسالة، ومع ظهور عدد كبير من الأنبياء ومدعي النبوة أصبح من الصعوبة التمييز، وظهرت الحاجة إلى التدوين، بيد أن العدد الكبير من الروايات الشفوية جعل مهمة التدوين صعبة، رغم اجتهاد مدارس تحرير النص في

(1) A. Berman, Joshua. Inconsistency In The Torah: Ancient Literary Convention And The Limits of Source Criticism. Oxford University Press. Oxford 2017. P. 18.

(٢) أحمد محمود هويدي، مصطفى عبد المعبود منصور، أحمد عبد المقصود الجندي. اليهودية: دراسة تاريخية وصفية. بيان للترجمة والنشر والتوزيع. القهرة ٢٠٢١. ص ١٥.

(٣) גולמן, סרג'. עמלק. שם. עמ' 126.

محاولة جعل النص أكثر تماسكًا وترابطًا[١]. وبالتالي فإن لدينا " كلمة الرب " المجهولة التي من الصعب إثبات الصلة بينها وبين النص الشفهي الذي ظل متداولا لفترة كبيرة، ثم النص الشفهي الذي خضع للفرز والتنقيح وإعادة التعيين قبل إقراره في صورته النهائية المكتوبة داخل نص التناخ بما يتناسب مع الظرف التاريخي الذي أرسى آليات التحريف للمقدس وفقا للاحتياجات الآنية لبني إسرائيل.

ويشير نص " عملاق " لأبرز استراتيجيات التحريف التي وضعها مؤلفو التناخ وكان لها دور محوري في ترسيخ العنف المقدس، وتأتي على رأسها استراتيجية " إخضاع المقدس للمدنس" بمعنى اخضاع الروحي للمادي وتقديم تفسير أسطوري وطقسي لظهور الرب على مسرح التاريخ يختزله من إله شامل وكلي إلى مجرد إله قبلي يختص بمجموعة بشرية بعينها، ولا يمكن فهمه الا من خلالها، على نحو ما يرد في التكوين(٣٢) في قصة صراع يعقوب مع ملاك الرب وانتصاره عليه، أو صراع يعقوب مع الرب نفسه وانتصاره عليه كما تشير إلى ذلك بعض الآراء[٢]، كانتصار للمادي والمدنس على الروحي والمقدس، وإرساء لقانون تشريعي سيعمل بمقتضاه كل مؤلفي التناخ على اختلافهم، وإقرار أن بيد كاتب النص الإضافة بما يحقق المصلحة الكلية لـ "شعب الرب"، وفقًا للمثل الدفاع:

" לאדם יש מקום תחת השמש, הוא אינו נרמס עוד בידי כוחות עילאיים השולטים בו בצורה בלתי נתפשת. הוא יכול להיאבק ולנצח ונצחונו יתווה את דרכו, הואיל והוכיח יכולת התאוששות מפציעתו, מצליעתו" [٣] .

"من الآن فصاعدًا سيغدو للإنسان مكان تحت الشمس، ولن يسحق ثانية تحت أيدي القوى العليا المسيطرة عليه بشكل غير مفهوم. سيغدو بإمكانه النضال والانتصار وأن يرسم بانتصاره طريق خلاصه، ولا سيما وقد أثبت قدرته على التعافي من جرحه، ومن عرجه"

وهو ما يؤشر ويرمز إلى قدرة المحرر التناخي على التحرر من سطوة النص المقدس، والتلاعب به بالحذف والإضافة والتحوير، بما يحقق المصلحة الكلية للجماعة

(١) شريف حامد سالم. التطور التاريخي لتدوين نصوص العهد القديم. مجلة الدراسات الشرقية، المجلد ٦٣، العدد ١. جمعية خريجي اللغات الشرقية بالجامعات المصرية. القاهرة ٢٠١٩. ص ١٥٩.

(٢) גרוסמן, יונתן. "את אשר תדר שלם": למשמעות מאבק יעקב והמלאך. מגדים, בטאון לענייני מקרא, גיליון כו, 1996. עמ' 9.

(٣) גולמן, סרג'. עמלק. שם. עמ' 72-71.

اليهودية التي ينتمي إليها. وهي أفكار تتشابه إلى حد بعيد مع مرتكزات الفكر العلماني[١]. وتنبثق من الاستراتيجية السابقة استراتيجية أخرى لا تقل عنها أهمية، وتتمثل في استراتيجية " الرب يمثل المنتصر "، وهي التي ستمكن من التحدث باسم الذات العليا، وسن التشريعات باسمها، والمطابقة بين السلطتين الزمنية والروحية، وأن يغدو المدنس بمثابة ظل الرب على الأرض، بما يتفق مع رؤية سبينوزا للدين باعتباره مجرد وسيلة يستمد منها الحاكم شرعيته، ووسيلة لإخضاع الشعوب للسلطة على حد قول ممثل الدفاع[٢]:

"המחזיק בשלטון, מחזיק בו רק משום שזהו רצון האל. אם זהו רצון האל, ברור שלשלטון זה צריכה להיות אפשרות לחוקק חוקים בשם האל!" [٣] .

"من يتقلد زمام السلطة يتقلدها فقط لأن هذه إرادة الرب، وإذا كانت هذه إرادة الرب فمن المنطقي أن تتحول هذه السلطة لأداة لسن التشريعات باسم الرب!"

لكن الرب لا يقف من ناحية أخرى مع المهزومين، لأن كل نجاح من عند الرب وكل فشل من عند أنفسكم. على النحو الذي يتبين تحديدًا في الصراع على السلطة بين داود وشاؤول، والذي انتصر فيه داود لأن كفته كانت الكفة التي يقف بها الرب، حيث مثّل نجاحه العسكري إلى جانب اختيار السماء له السببين الرئيسيين لتوليه السلطة[٤]، وهو ما يفتح الباب واسعًا للتداخل بين السياسة والدين، فيقول ممثل الدفاع:

" הצלחה מהווה הוכחה לתמיכת האל בתוכנית מסוימת. עבור מי שמחזיק בשלטון, הרי שהוא נמסר לו בהכרח על פי רצון האל, והגיוני לטעון שאישיותו, דבריו ומעשיו הם ביטוי לרצון זה. על כן הפיתוי לערב את הפוליטיקה בדת היה רב" [٥] .

"يمثل النجاح دليلًا على وقوف الرب في صف خطة بعينها. وبالنسبة لمن يتقلد زمام السلطة فقد سلمت إليه بالتأكيد بمباركة الرب، ويبدو من المنطقي الادعاء أن شخصيته،

---

(١) פישר, יוכי. מבוא: חילון וחילוניות- מצע תיאורטי ומתודולוגי. בתוך: פישר, יוכי (עורכת). חילון וחילוניות. הוצאת מכון ון ליר, הוצאת הקיבוץ המאוחד. תל אביב 2015. עמ' 11.

(٢) רכניץ, עדו. מדינת-התורה הדמוקרטית. מכון משפטי ארץ. עפרה 2022. עמ' 41.

(٣) גולמן, סרג'. עמלק. שם. עמ' 100.

(٤) פריש, עמוס. מלחמות שאול ומלחמות דוד בספר שמואל: מבט ספרותי. בית מקרא, כרך 54, גיליון 2, 2008. עמ' 78.

(٥) גולמן, סרג'. עמלק. שם. עמ' 142.

وكلامه، وأفعاله، يعبرون عن هذه الإرادة الإلهية. وهو ما يجعل الانغواء إلى خلط السياسة بالدين كبيرًا"

وبالتبعية، وقياسًا على منطق المصلحة، يصبح داود وأتباعه المسؤولين المباشرين عن الإضافات التي لحقت بالنص المقدس وجعلت من فريضة إبادة عملاق وصية أبدية واجبة الاتباع رغم حقيقة أنه وفي ضوء النص التناخي نفسه لم يكن شعب عملاق الوحيد الذي ناصب بني إسرائيل العداء. لكنه كان الوحيد أيضًا الذي اختص بوصية توجب الإبادة الجماعية والتحريم حتى الفناء والهلاك، فيقول ممثل الدفاع:

"גבירתי הנשיאה, רמז זעיר יוביל את חשיבותנו לכיוון חדש. התרשים נראה בבירור! וכפי שאמרנו "חפש למי משתלם הפשע". ברור שהחוק נגד עמלק משתלם לדוד ולתומכיו. לפיכך, היגיוני להסיק שזיהינו את מפיץ הטקסט או את מחברו ואין הוא הלקוח שלנו. כך היינו משלימים בהצלחה את משימתנו: אלוהים ודאי אינו דורש ממאמיניו לבצע מעשים בלתי מוסריים" [١] .

"سيدتي الرئيسة، توجد ملاحظة صغيرة تستحق منا الاهتمام . فالسيناريو أصبح جليا للغاية! ومثلما قلنا سابقا: " ابحث عن المستفيد ". ومن الواضح أن التشريع ضد عملاق قد أتى بثماره بالنسبة لداود وأتباعه. وبالتالي فمن المنطقي الاستنتاج أننا قد توصلنا إلى مصدر النص أو مؤلفه والذي ليس بالطبع موكلي. وبذلك نكون قد أكملنا مهمتنا بنجاح، ما يعني أن الرب لم يطلب من المؤمنين به أن يرتكبوا ممارسات غير أخلاقية على الإطلاق"

ويجدر الإشارة في هذا السياق إلى ثلاث ملاحظات :

١. أنه على الرغم من ظهور وصية إبادة عملاق في عصر موسى إلا أنه كان عليها الانتظار حتى عصر داود حتى تتحقق بشكل فعلي.
٢. أن التقاعس عن تنفيذ الوصية كان المبرر لإزاحة شاؤول عن السلطة.
٣. الربط الذي يعقده التلمود بين المقدس/الهيكل، والمدنس/السلطة، ووصية إبادة عملاق باعتبارها الوصايا الثلاثة التي فرضت على بني إسرائيل قبل دخولهم إلى الأرض المقدسة[٢].

(١) שם. עמ' 147.

(٢) שטרסברג, שלמה. בירור הלכתי במצוות מחיית עמלק. ניתן למצוא באתר:
http://www.yolanda.org . נכנס ב: 26-09-2024 .

ووفق هذه المقاربة يخلص ممثل الدفاع إلى عدم مسؤولية الرب عن الجرائم التي ارتكبت باسمه، وإلى أن المسؤولية تقع برمتها على كاهل الكتبة الذين حرفوا النص الشفهي، بما يتطابق مع الظرف التاريخي، والاحتياجات الآنية لبني إسرائيل، ورغبتهم في التوسع الإقليمي وإحكام السيطرة على السلطة، وبما يفتح الباب ربما للتساؤل عن حدود التداخل بين المقدس والمدنس، وأيهما سيخضع الآخر في سبيله لتحقيق أهدافه.

ثالثًا: المقدس بين التوظيف الديني والاستغلال السياسي

من يستغل الآخر، السياسي أم الديني؟ في مسعاه لإيجاد جواب على هذا التساؤل يجنح نص " عملاق " إلى مسار التوفيق بين رأيي كل من ممثل الادعاء وممثل الدفاع، واعتبار أن الدين بمجرد خروجه إلى المجال العام يصبح مستهدفًا من كلا الطرفين. من المتدينين لإيجاد موطئ قدم لهم على الساحة السياسية، وتعظيم نفوذهم داخل الكيان السياسي للدولة وصولًا إلى دولة الشريعة في مرحلة ما، ومن السياسيين الذين يسعون إلى إضفاء نوع من الشرعية والقداسة على ممارساتهم السياسية. وهو ما يجعل السؤال ذاته بغير ذي معنى في ظل الإشكالية الرئيسية التي تتمثل في وجود الدين بحد ذاته في المجال العام، فيقول ممثل الادعاء:

"האם אלוהים וחסידיו השתמשו מאז ומעולם בשלטון הפוליטי כדי לקדם את שאיפותיהם? או לחילופין, האם שאיפות פוליטיות ידעו לעשות שימוש בדיאלקטיקה הדתית כדי להעניק לגיטימיות למשטרים צמאי דם? הבה נאמר היום, בריש גלי, שאבחנה זו אינה חשובה. מה שחשוב הוא להבין שאין משנה באיזה כיוון פועל המנגנון" [١] .

"هل الرب وأتباعه هم الذين يستخدمون- ولا يزالون- السلطة السياسية من أجل تحقيق أهدافهم؟ أم العكس أن الأطماع السياسية هي التي عرفت كيف توظف الجدلية الدينية من أجل إضفاء شرعية على الأنظمة المتعطشة للدماء؟ ودعنا نقل اليوم، وعلنًا، أن مثل هذا التمييز بغير ذي طائل. وأن علينا أن ندرك أنه ليس مهمًا في أي اتجاه تعمل هذه الآلية."

ويمكن النظر إلى الكيان السياسي الصهيوني كنموذج تفسيري يستدعي هذه الجدلية، ويطرح التساؤل عما إذا كانت الصهيونية العلمانية هي التي تستغل الدين لإضفاء مسحة من الشرعية على احتلالها للأرض، أم العكس أن الصهيونية الدينية، ومن يدور في فلكها، هم الذين يستخدمون الدين للوصول إلى السلطة وإعلان دولة الشريعة[٢].

(١) גולמן, סרג'. עמלק. שם. עמ' 58-57.

(٢) כצמן, חיים. ציונות-דתית. מפתח, גיליון 17, 2022. עמ' 176.

وكما ذكرنا سابقا يفسح هذا التداخل بين الديني والسياسي المجال للتلاعب بالنص المقدس، وتطويعه في خدمة المدنس بما يتسق مع الظرف التاريخي والأهداف الآنية للتحريف، إضافة، وحذفًا، وتحويرًا. ويمثل النص لذلك بالمقطعين المتتاليين الواردين في سفر الخروج الإصحاح ١٧، واللذين لم يأت تعاقبهما اعتباطًا، لكنه جاء لتكريس النهج الديكتاتوري في التعامل مع الأصوات المعارضة، وإرساء لسياسة " خلق العدو الوهمي " كحل للمشاكل الداخلية. فعندما يتمرد بنو إسرائيل على موسى في المقطع الأول (١٧: ١-٨) يأتي المقطع الثاني (١٧: ٨- ١٣) الذي يسرد أمر الرب بمحاربة عماليق ليذكرهم بعاقبة كل من يتمرد على ممثل سلطة الرب على الأرض، كيفما يقول ممثل الدفاع:

" אירוע זה מעביר לנו "מתכון". מה לעשות במקרה של ערעור על השלטון? ובכן, העניין פשוט מאוד, זה הרגע להעמיד את עצמנו במקום אלוהים בכבודו ובעצמו, להתעטף בהילה של אבסולוטיות ושל מוחלטות ולהכריז שאלה הם יסודות הדת ... שנתונים בסכנה, וכך ניתן לגייס את כל האנרגיות נגד האויב המיתולוגי, המוחלט, המיוצג בסמליות התנ"כית על ידי עמלק! אכן, מה יותר שימושי מאשר אויב נגיש באופן תמידי, ששנאתו כלפינו מובטחת ועל כן חייבים להיאבק בו תמיד, כדי לנטרל כל מחאה פנימית?" [١] .

"هذه الحادثة تقدم لنا ما هو بمثابة وصفة لسؤال، ما الذي يمكن فعله في حالة التمرد على السلطة ؟ والمسألة على هذا النحو بسيطة للغاية، أن نجعل أنفسنا مقام الرب بشخصه وجلاله، وأن نحيط أنفسنا بهالة الحكم المطلق والقطعية وأن نعلن أن قواعد الدين نفسها ... هي المعرضة للخطر، وبالتالي حشد كل الطاقات ضد العدو الأسطوري، المجرد، الممثل له في الرمزية التناخية بعملاق! إذ هل هناك ما هو أفضل من عدو متاح بشكل دائم، وكراهيته لنا مؤكدة، والحرب المستمرة ضده واجبة، من أجل إبطال التمرد الداخلي؟"

ويمثل عملاق وفق هذا السياق حالة مثالية للعدو " الوهمي " الذي يمثل وجوده ذريعة للاستبداد الداخلي من ناحية، والإبادة الجماعية من ناحية أخرى. فهو عدو مستمر، وغير منتهي، ولن تتحقق إبادته الفعلية إلا في آخر الزمان مع مجئ المسيح المخلص وفقًا لما جاء في وثائق البحر الميت[٢]. وبالاضافة إلى تكريس النهج الاستبدادي والحاجة المستمرة إلى افتعال خصومة مع المحيط الخارجي أو " خلق

(١) גולמן, סרג'. עמלק. שם. עמ' 151.

(2) Shalit, Erel. Enemy, Cripple & Beggar: Shadows In The Hero's Path. Fisher King Press. Ontario 2008. P. 110.

عدو وهمي " من أجل التغطية على المشاكل الداخلية يؤدي الخلط بين الديني والسياسي أيضا إلى نوع من ازدواجية المعايير في التعاطي مع الآخر، على نحو التناقض الملفت للانتباه بين الاضطهاد الديني لليهود في عهد الملك السلوقي أنطيوخس الرابع أبيفانيس (٢١٥ - ١٦٤) ثم إقدامهم بعد وفاته مباشرة على اضطهاد الآدوميين وإكراههم على الدخول في الديانة اليهودية، على حد قول ممثل الادعاء:

" החשמונאי יוחנן הורקנוס (104 – 135 לפנה"ס), ינצל את מותו של המלך אנטיוכוס כדי להגדיל את השפעתו, ובפעם הראשונה בהיסטוריה ימיר בכפיה את דתה של אוכלסייה שלמה, זו של האדומים ... איך ניתן להסביר ששנים ספורות לאחר שנרדפה והייתה נתונה תחת איום השמדה, בתקופת שלטונו של אנטיוכוס אפיפנס ה-IV , כופה עצמה בכוח גם הדת היהודית? כיצד אפשר להסביר שהחשמונאי, החייב את כוחו לעמידות יוצאת דופן מול רדיפות הדת של היוונים, משתמש אף הוא בכוח ואילוץ כדי לשכנע באמיתות אמונתו" [١] .

"يستغل الحشموني يوحانان هوركانوس(١٣٥ - ١٠٤ ق.م) وفاة الملك أنطيوخس لزيادة نفوذه، وللمرة الأولى في التاريخ يغير دين مجموعة بشرية كاملة، وهم الآدوميين ... كيف يمكننا تفسير إقدام الديانة اليهودية- بعد سنوات معدودة من تعرضها للاضطهاد والتهديد بالإبادة في عصر أنطيوخس أبيفانيس الرابع- على فرض نفسها بالقوة؟ كيف يمكننا تفسير استخدام الحشموني- الذي تصدى بجسارة نادرة للاضطهاد الديني اليوناني- هو أيضا للقوة والإكراه من أجل الإقناع بصدق معتقده"

ويمكن تفسير اضطهاد الملك السلوقي لليهود – الذي تمثل في منع تعليم التوراة، وتحريم الختان، وإجبارهم على الطقوس الوثنية، وأكل لحم الخنزير، وعدم حفظ يوم السبت، وتدمير بيوت الصلاة – في رغبته في التوحيد الثقافي، والقضاء على التعددية الدينية، وبالتالي تقوية المركز السياسي لمملكته، وهي الدوافع نفسها التي استند إليها فيما بعد الملك الحشموني هوركانوس[٢] إزاء الآدوميين، بإكراههم على اعتناق الديانة اليهودية[١].

(١) גולמן, סרג'. עמלק. שם. עמ' 46,47.

(٢) يرى الباحث الإسرائيلي "أوريال ريفافورت" אוריאל רפפורט أنه على الرغم مما يشير إليه هذا التهويد من معاني الإكراه، إلا أنه كان برغبة الآدوميين لأنه لو كان العكس صحيحا لكانوا قد رجعوا إلى ديانتهم مرة أخرى مع احتلال بومبي لفلسطين سنة ٦٤ قبل الميلاد. ونرى أن رأيه هذا يحمل

لكن، هل العنف شيء أصيل وعضوي في الدين؟ بمعنى أنه من الثابت أن الديانات السماوية كافة تعرضت في بداياتها للاضطهاد، ثم تمكنت بطريقة أو أخرى من الصمود والبقاء، وفي مراحل لاحقة مارس أتباعها العنف تجاه الآخر المختلف، فهل هذا يؤشر إلى أن هذه الديانات ولدت من رحم العنف وأنه شيء كامن وأصيل بداخلها وفقًا للقراءة الأصولية، أم يمكن لقراءات أخرى مغايرة أن تلجأ للتاويل أو حتى القول بالتحريف من أجل الحفاظ على قدسية النص، كما يقول ممثل الادعاء:

"אלא אם כן דת זו, כמו הדתות המונותיאיסטיות שהתפתחו ממנה, כפי שנראה מיד, מבטאת אמת מוחלטת כה חזקה וכה תובענית עד שהיא דורשת, בעת ובעונה אחת, למות, כפי שמתוארים האירועים העצובים בספרי המכבים, וגם ולהרוג בעבורה, כפי שעשה יוחנן הורקנוס. אולי היא שואבת את הצידוק להשתמש באלימות דווקא מיכולתה לעמוד בפני אלימות " [٢] .

"لكن إذا كانت هذه الديانة، على غرار الأديان التوحيدية التي تطورت منها كيفما سنرى لاحقًا، تعبر عن حقيقة مطلقة وصلبة وراسخة إلى حد أنها تطالب في ذات الآن بالموت من أجلها، على نحو الأحداث المؤسسة في أسفار المكابيين، وأيضًا القتل من أجلها، مثلما فعل يوحانان هوركانوس- فربما هي تستقي مبررها لاستخدام العنف تحديدًا من قدرتها على الصمود في وجه العنف."

فاليهودية لم تُرسِ فقط فكرة " القتل باسم الرب "، لكنها رسخت أيضًا لمفهوم " الموت من أجل الرب " عبر ربط الحركة المكابية بين عقيدة " التضحية بإسحاق " העקדה والعمليات الانتحارية ضد السلوقيين كما يقول الباحث الأمريكي " بروس تشيلتون " Bruce Chilton : " لم تكن المطالبة المكابية للإسرائيليين الحقيقيين بتقديم حياة شبابهم تعني الذبح الفعلي، لكنها لم تكن أقل قتلًا من ذلك، لأنها توقعت الاستشهاد

مغالطة صريحة كونه لا يراعي الفترة الزمنية بين التهويد واحتلال الرومان لفلسطين، والتي تمتد لما يزيد تقريبا عن مائة عامة.

רפפורט, אוריאל. התייהדות האדומים בימי יוחנן הורכנוס. בתוך: גייגר, יוסף, מ' כותן, חנה, ד' שטיבל, גיא (עורכים). ישראל בארצו: קובץ מאמרים ליובלו של ישראל שצמן. האוניברסיטה הפתוחה, החברה לחקירת ארץ-ישראל ועתיקותה. רעננה 2009. עמ' 65.

(١) هاني عبد العزيز جوهر. اليهود في فلسطين في العصرين البطلمي والسلوقي: المكابيون–دراسة في الناحية الدينية والسياسية. عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية. القاهرة ٢٠٠٥. ص ٤٠،٤٢.

(٢) גולמן, סרג'. עמלק. שם. עמ' 47.

الفعلي لأولئك المؤمنين بالفعل بالتوراة"[١]. وفي الحقيقة فإن التأويل- وربما أيضا القول بالتحريف- ضرورة، ليس فقط للحفاظ على قدسية النص، ونفي سمت العنف عنه، لكن أيضًا للحفاظ على السلم الداخلي داخل المجتمعات التوحيدية، وضمان عدم تسرب شيء من القراءات الأصولية الحرفية إلى لاوعي، أو حتى الوعي المباشر، للمؤمنين بهذه الأديان. ويطرح ممثل الدفاع صيغة " روح النص " كقراءة لا حرفية تنبذ العنف وتقدم تفسيرها البديل، ويمثل لها بقصة " تضحية إسحاق " ويعتبر أن صدى الصوت أو الهاتف السماوي الذي سمعه إبراهيم قبل إقدامه على تنفيذ الحدث " الدموي " يعد بمثابة المؤشر على رمزية القصة برمتها وفقًا لممثل الدفاع:

"הנה הקול המופיע לפני שיבוצע המעשה הקטלני, זה המצהיר בקול רם על אי-היתכנותו של מעשה שכזה. הנה הצעקה הזועקת שאם פעם ניתן היה אולי להבין את רצון האל במובן מילולי זה, אכן הזמנים השתנו. הקול הזה אינו חדל להדהד, אך למרבה הצער רבים מדי ממשיכים לאטום את אוזניהם בפני קריאתו" [٢].

"إنه ذلك الصوت الذي يظهر قبيل تنفيذ الفعل القاتل، ذلك الذي يعلن جهارة عدم إمكانية حدوث فعل كهذا. إنها تلك الصرخة التي تعلن أنه إذا كان بالإمكان في الماضي فهم إرادة الرب بمعناها الحرفي، فإن الزمن قد تغير. وهذا الصوت لم يتوقف دويه، لكن الكثيرين جدا للأسف يواصلون صم آذانهم عن قراءته."

و" الهاتف السماوي " בת קול هو آخر درجات النبوة بعد " الكلام " דיבור و" الإلهام النبوي" רוח،ويُقصد به " ذلك الصوت الذي خلقه الرب في الهواء ويصل إلى أذن كل من يستحق أن يسمعه، وقد أُطلق عليه بعد ذلك " بت قول " والذي يعني حرفيًا " ابنة الصوت ". وقد ألح التلمود في أكثر من موضع على أنه بانتهاء مرحلة الأنبياء الأواخر، مثل حجي وزكريا وملاخي، فإن روح القدس " الإلهام الإلهي " هجرت إسرائيل ولم يتبق سوى " بت قول ""[٣].

(1) Chilton, Bruce. Abraham's Curse: Child Sacrifice In The Legacies of The West. Doubleday. London 2008. P. 45.

(٢) גולמן, סרג'. עמלק. שם. עמ' 159.

(٣) يحيى زكريا. مفهوم "العهد" في التصوف "اليهودي". الشقري للنشر. القاهرة ٢٠١٦. ص ٢٤-٢٥.

وهكذا يخلص النص في النهاية إلى تبرئة الرب من كل ما هو منسوب إليه. فالرب أبعد ما يكون عن العنف، أو الدعوى لانتهاج العنف كسمت أصيل للمؤمنين به.

رابعًا: الإسلام والمسيحية وإشكالية الانحياز

قبل التطرق إلى مظاهر الاضطراب النصي، وانعكاساته وتمثلاته داخل رواية "عملاق"، تجدر الإشارة إلى أسبقية النسخة الفرنسية لهذه الرواية، التي صدرت سنة ٢٠١٢، على نسختها العبرية التي صدرت سنة ٢٠١٥، وإلى أن فرنسا مثلت ولا تزال البيئة الحاضنة التي ترعرعت فيها أفكار سيرج جولدمان، ولا يمكن بحال تصور إدانة سيرج جولدمان لهذه البيئة الحاضنة، أو كما يحلو للأدبيات الغربية والإسرائيلية تسميتها بـ "الحضارة اليهودية المسيحية"، وهو اعتقاد أكدته القراءة المحايثة للنص الروائي، فهو طموح لم يصل إليه الأديب ولم يحققه النص بالكلية. وتبدو الإرهاصات المبكرة لانحيازات الأديب جلية في موقفه من "ممثل الاتهام" الذي يضيق عليه مساحة التعبير عن رأيه، ويغلق دونه فسحة الإبانة عن مواقفه وآرائه، ويحدد الإطار الزمني النصي لدفوعه في إدانة الرب/ المتهم بما لا يزيد عن سبعة وثلاثين صفحة، في مقابل المساحة الواسعة والممتدة التي تعطى لممثل الدفاع، وتكاد تصل في جملتها إلى المائة صفحة. ولا شك أن هذا الخلل في المحاصصة لصفحات النص الروائي يعد بمثابة موقف كاشف عن جنوح الأديب باتجاه طرف بعينه، وعدم موضوعية تحيل إلى العوار والخلل، وبالتالي الاضطراب النصي الواضح.

وباعتباره كاشفًا لعورات النص يمثل العنوان العتبة الأولى التي من المفترض أن تشتبك مع العتبات الاخرى بما يحقق تماسك موضوع العمل الأدبي ووحدته، وهو ما لا يتحقق لدى الأديب عند حديثه عن الإسلام والمسيحية، حيث يقحم هذا السياق للخروج بنتائج محددة خارجة عن موضوع الرواية "عملاق" الذي يتحدد بمحاولة فهم ظاهرة العنف داخل النص المقدس العبري وتتبع أصولها ومآلاتها والعلاقات التي تربطها بقصة عملاق في التناخ. وفي هذا الإطار يكشف ممثل الادعاء رغم رؤيته المختزلة والمقتضبة عن موقف متناقض إزاء المسيحية والإسلام، فتتسم نظرته بالاعتدال عند حديثه عن الاسلام، وعن ظاهرة العنف وعلاقتها بالمقدس الإسلامي بين الماضي والحاضر، وأن الأساس هو الرغبة في السلطة، واستغلال السلطة الرعوية للدين، على نحو ما يصوغ الادعاء:

"האם יכולה התרבות המוסלמית, שהתמקמה לזמן מה לאחר כיבושיה במזרח ובצפון אפריקה אפילו בדרום אירופה, להיתלות בסיבה דתית בלבד, למרות מינוח ה"ג'יהאד" שאותו טבעה, ואשר חוזר ומופיע באירועי השנים האחרונות? למעשה,

ציביליזציה זו ידעה על פי רוב לחיות בשלום עם אמונותיהם של בני הארצות הכבושות"[١].

"هل يمكن أن نعزو هذا التوسع للحضارة الإسلامية في شمال أفريقيا وشرقها ثم تمددها المؤقت بعد ذلك حتى جنوب أوروبا إلى العامل الديني فحسب، وذلك على الرغم من وجود مصطلح "الجهاد" الذي سكته هذه الحضارة، وعاود الظهور مجددا في السنوات الماضية؟ لقد عرفت هذه الحضارة حقًا كيف تتعايش بسلام مع عقائد أصحاب البلاد التي احتلتها".

أما في هذا المنحى فإننا نتفق تمامًا مع ما ذهب إليه جولدمان، فالمشكلة ليست في النصوص الدينية الإسلامية لكن في استخدام هذه النصوص من قبل السلطة الرعوية التي تحتكر السلاح وتوظف النصوص بما يحقق رؤيتها للمواطنين كتابعين تسوسهم كما يسوس الراعي القطيع على حد تعبير الفيلسوف الفرنسي "ميشيل فوكو": " فكرة الرب أو الملك أو القائد كراع يتبعه قطيع من الخراف لم تكن مألوفة عند اليونان والرومان ... وهذا ليس وضع المجتمعات الشرقية القديمة- مصر، وآشور، ويهوذا ... فالربط بين الله والملك تخلق بسهولة طالما أن الاثنين يقومان بالدور نفسه، والقطيع الذي يسهران عليه هو نفسه"[٢]، فهذه السلطة الرعوية هي التي تستغل الدين وتكرسه في خدمة الاستبداد.

وعلى العكس من هذا الموقف المعتدل والمنصف لممثل الادعاء إزاء الإسلام، يكشف موقفه إزاء المسيحية عن محاولة لتبرير الاستخدام الفج للدين أثناء الحروب الصليبية، وأن هذه الحروب كانت تحركها فقط الدوافع السياسية التي استخدمت الدين لتحقيق أغراضها الدنيوية، وذلك على الرغم من أن البابوية الكاثوليكية مثلت في ذلك الوقت دولة متكاملة الأركان، وكانت المحرك الفعلي للحملات الصليبية، والمرجعية العليا المتحدثة باسم الديانة المسيحية في الغرب، أو على الأقل كانت المحرر للدافع الأيديولوجي الذي مثل ركيزة هذه الحروب[٣]، ويتبدى هذا المنزع التبريري في قول ممثل الدفاع:

---

(١) גולמן, סרג'. עמלק. שם. עמ' 48.

(٢) نعوم تشومسكي، ميشيل فوكو. عن الطبيعة الإنسانية: مناظرة بين نعوم تشومسكي وميشيل فوكو. ترجمة: أمير زكي. دار التنوير للطباعة والنشر. القاهرة ٢٠١٥. ص ٢٠٨،٢٠٩.

(٣) قاسم عبده قاسم. الخلفية الإيديولوجية للحروب الصليبية: دراسة عن الحملة الأولى ١٠٩٥-١٠٩٩م. عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية. القاهرة ١٩٩٩. ص ٧٢.

"כיצד ניתן להאשים ברצינות את אלוהים בשותפות לדבר עבירה במסעות הצלב על אף הקריאה המפורסמת:"אלוהים רוצה זאת!" שעה ששאיפות הכיבוש והרצון לפתור בעיות פנים רבות, באמצעות תחבולה זו, אינן מוטלות בספק במאבק הזה נגד "הכופרים"? השיירות הארוכות של מסעי הצלב פטרו את אירופה מאוכלוסיות אלימות, הן מצאו לעצמן הזדמנות לצאת להרפתקה במצפון נקי, ולהקים ממלכה עצמאית, תוך פתיחת דרכי מסחר למזרח כולו, וכך למנוע פיצוץ חברתי ... לא ניתן להאשים באמת את הנתבע במאבק הדמים למען השלטון וההשפעה "[1].

" كيف يمكننا جديًا أن نتهم الرب بالضلوع الجنائي في الحملات الصليبية على الرغم من النداء الشهير "هذه إرادة الرب"، وفي ضوء حقيقة أن مساعي الغزو ومراميه في استخدام هذه الخدعة لحل مشاكله الداخلية الكثيرة في هذا النضال ضد "الكفار" واضحة تمامًا؟ حيث خلصت الإرساليات المتتابعة من الحملات الصليبية أوروبا من فائضها البشري العنيف، الذي وجد في هذه الحملات فرصة للانطلاق وهو مرتاح الضمير في مغامرة لتأسيس ممالك مستقلة، وفتح طرق التجارة إلى الشرق بأكمله، والحيلولة دون الانفجار الاجتماعي ... لا يمكن حقا اتهام المدعى عليه بالمسؤولية عن هذا الصراع الدموي من أجل السلطة والنفوذ".

ولتأكيد انتمائه إلى المعسكر اليهودي-المسيحي، الذي يمثل جوهر المواءمات بين المصالح الصهيونية والغربية، يحاول ممثل الدفاع، والمؤلف بالتبعية، استثمار مشاعر الإسلاموفوبيا داخل الدول الغربية والادعاء أن الاديان السماوية جميعًا، باستثناء الإسلام، قد نبذت العنف وقطعت الصلة بين النصوص المقدسة ومشروعية استخدام العنف:

"הבה נאמר בקול רם שהיהדות, קורבן של שנאה דתית זמן רב מדי, קורבן של שנאה גזענית ושל רצח-עם בעת האחרונה, לא יכולה הייתה לתמוך באלימות דתית וברצח-עם ממוסד והחברה הישראלית יודעת להוקיע מתוכה את עשביה השוטים, דוגמת רוצח ראש הממשלה רבין. נאמר גם, בלשון שאינה משתמעת לשתי פנים, שהנצרות, כתגובה לזוועות המאה העשרים, התרחקה אף היא מפיתויים שכאלה, ובהקשר זה הייתי רוצה להדגיש במיוחד את ועידת הוותיקן השנייה. ההתפתחות המשמחת הזו באה רק לאחר שבני אדם רבים מדי שילמו

(١) גולמן, סרג'. עמלק. שם. עמ' 48-49, 49.

בחייהם על להיטות דתית יתרה, ומטרתו של משפט זה היא לנסות ולגרום לכך שהדת המונותיאיסטית הצעירה ביותר, האסלאם, תאמץ אף היא מסר זה"[١].

" ونحن نقول بشكل صريح إن اليهودية، التي ظلت ضحية للكراهية الدينية لفترة طويلة جدًا، وضحية للكراهية العرقية والإبادة الجماعية مؤخرًا، لا يمكن لها أبدًا أن تؤيد العنف الديني والإبادة الجماعية الممنهجة، وأن المجتمع الإسرائيلي يعرف كيف يقتلع الأعشاب الضارة من داخله، على غرار من اغتال رئيس الوزراء رابين. ونقول أيضًا بما لا لبس فيه إن المسيحية، قد ابتعدت هي أيضًا، بعد الأهوال التي شهدها القرن العشرين، عن مثل هذا الإغراء، ويجدر بنا في هذا السياق التشديد بشكل خاص على المؤتمر الثاني للفاتيكان[٢]. ولم يكن لمثل هذا التطور البهيج أن يتحقق إلا بعد أن قدم العديد من البشر أرواحهم ثمنًا لهذه الحماسة الدينية الزائدة. والهدف من هذه الجملة الأخيرة محاولة حث الديانة التوحيدية الأحدث، الإسلام، على تبني هذه الرسالة هي أيضًا. ".

وهو ما يثير الكثير من التساؤلات حول حقيقة نبذ المسيحية للعنف، وتخلصها من ميراث طويل جرى فيه استخدام الدين كركيزة رئيسة من ركائز المشروع الاستعماري الغربي، حيث قدمت الحجج اللاهوتية والكتابية العديدة الأساس الأيديولوجي للاستعمار [٣]، وحتى بعد ما يسميه ممثل الادعاء بأهوال القرن العشرين لا تزال النظرة الاستعمارية الاستعلائية السابقة تجد تمثلها في مصطلح "أوروبا المسيحية" كمؤشر لكراهية الأجانب ورفض الآخر المسلم والملون والمختلف، وتعاظم ملفت لنفوذ اليمين الديني المسيحي[٤]. كما لا يزال العهدان القديم والجديد، ونبوءات آخر الزمان بشكل

---

(١) גולמן, סרג'. עמלק. שם. עמ' 155.

(٢) مجمع الفاتيكان الثاني (١٩٦٢–١٩٦٥): "اشترك فيه ٢٥٠٠ أسقفًا من ١٣٣ بلدا، وحرر في وثيقته حول الحرية الدينية في الكنيسة الكاثوليكية بشكل رسمي فكرة دين المحبة والسماحة".

للمزيد انظر: هوبرتس هوفمان: قانون التسامح: دليل للساعين إلى تحسين أوضاع العالم وللمتشائمين والمؤمنين الثابتين والمفكرين الأحرار. ترجمة: د. عادل خوري. العربي للنشر والتوزيع. القاهرة ٢٠١٤. ص ٢٠٣.

(٣) مايكل برير. الكتاب المقدس والاستعمار الاستيطاني: أمريكا اللاتينية، جنوب أفريقيا، فلسطين. ترجمة: أحمد الجمل، زياد منى. الطبعة الثانية. قدمس للنشر والتوزيع. دمشق ٢٠٠٤. ص ٨٥.

(٤) وحدة الدراسات والأبحاث. التيار اليميني في الغرب: الصعود والتأثير. مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات. إسطنبول ٢٠١٧. ص ١٢.

خاص، يستخدمان كحجر زاوية للتقارب الإنجيلي-الصهيوني، ورسم السياسات المرسخة لهيمنة الكيان الصهيوني على مقدرات الواقعين الفلسطيني وشرق الأوسطي.

وكحل نهائي يقترح ممثل الدفاع قيام المؤسسات الدينية داخل العالم الإسلامي بإصدار فتوى تدين مفهوم "الجهاد" ذاته وتنبذه كعنف تجاه الآخر، وأن تعتبر أن أي دعوى لإعلان "الجهاد" ما هي إلا محاولة لتسييس للدين، والوصول إلى السلطة، والخلط بين الدين والسياسة:

"רק מסר ברור השולל כל בסיס תיאולוגי לשימוש באלימות, המצהיר שהשימוש באלימות היה ועודנו תוצר של חישובים פוליטיים ושל הרצון לשלוט, יצליח לנטרל את הקולות הקוראים לג'יהאד"[١].

" فقط الرسالة الواضحة التي تنفي أي أساس لاهوتي لاستخدام العنف، وتعلن أن استخدام العنف كان ولا يزال نتاج حسابات سياسية والرغبة في السلطة، من شأنها أن تحيد الاصوات الداعية للجهاد".

وهو ادعاء يحمل الكثير من المغالطات، ونرجعه إلى تأثر جولدمان بالنص المقدس العبري وما لحقه من تحريف بالحذف والإضافة والتحوير، وظنه أن العوار ذاته قد اصاب النص المقدس الإسلامي، ذلك أن "الجهاد" أصل من أصول الإسلام لا يملك فرد أو مؤسسة إنكاره، لكن له في الوقت نفسه ضوابط وأصول ومحددات يؤدي الخروج عنها إلى الانحراف عن صحيح تطبيق الشعيرة. لكن من ناحية أخرى لا ينبغي أن يؤدي الانحراف في التطبيق إلى المطالبة بإسقاط شعيرة أصيلة في الإسلام، ذلك " أن التفسير الثقافي لعنف الأصولية الإسلامية عبر تجريم الموروث الفكري يتجاهل أن الظاهرة نفسها اجتماعية في المقام الأول، وبالتالي فإن تحليلها يعوزه أدوات ومقاربات تتجاوز النص الديني وتتعداه لتناول بنية النظام الاجتماعي والسياسي والاقتصادي"[٢].

خاتمة البحث

ننهي دراستنا حول إشكالية " أيديولوجيا العنف " وتوظيفها بين المقدس والمدنس في رواية " عملاق " لسيرج جولدمان بذكر أهم النتائج والاستنتاجات والتوصيات التي خلصت إليها الدراسة:

(١) גולמן, סרג'. עמלק. שם. עמ' 155.

(٢) ليث مزاحم خضير العبدوس. أيديولوجية العنف المسلح في تصورات الأصولية الإسلامية المعاصرة دراسة نماذج. شركة دار الأكاديميون للنشر والتوزيع. عمان ٢٠٢١. ص ١٣٦.

-أظهرت الدراسة أن القراءة الحرفية والأصولية للنص تدين المتهم/ الرب وتقيم الحجة عليه، وتثبت الصلة الواضحة والمباشرة بين العنف بأشكاله المتعددة الذي يتردد بشكل واضح على امتداد نص التناخ، وبين التطرف، وإقصاء الآخر، وإرهابه وصولًا حتى إلى إنكار حقه في الوجود.

-بينت الدراسة الحاجة الماسة إلى التأويل باعتباره بمثابة طوق النجاة الذي سيمكن من اقتلاع جذور العنف المقدس، وتحقيق النظرة المتسامحة تجاه الآخر المختلف، والتعايش السلمي بين البشر، وتنزيه الذات الإلهية عن النواقص البشرية كافة التي خُلعت عليها.

-أوضحت الدراسة بعض التحريف الذي لحق بنص التناخ داخل نص " عملاق "، وأسبابه، ومنطلقاته، والاستراتيجيات التي اتبعها مؤلفو الأسفار للانحراف بمقاصد النص المقدس.

-أكدت الدراسة انحياز المؤلف، وعدم موضوعيته عند حديثه عن الإسلام، وهو الحديث الذى جرى إقحامه على النص حتى يناسب الأفكار الرائجة في المعسكر اليهودي- المسيحي الذي ينتمي إليه الأديب ، ويستمد منه مشروعيته وتقبل المؤسسة الأدبية له.

-كشفت الدراسة الصلة الواضحة بين القراءة الحرة للنص المقدس والقدرة على إيجاد المزيد من الفجوات والعلامات الفارغة التي يمكن أن تضفي المزيد من الشكوك حول المصدر الإلهي لهذا النص.

-مثل الحيز الكبير الذي أفرده الراوي لممثل الدفاع، تقريبا ضعف المساحة الممنوحة لممثل الادعاء، دليلا على انحياز الراوي والمؤلف لرؤية ممثل الدفاع، وتعاطفهما مع المتهم/الرب. ورغبتهما في نفي هذا الاتهام بالإبادة الجماعية عنه.

- أبرزت الدراسة تجاوز نص " عملاق " لسيرج جولدمان في كثير من أطروحاته حدود التناخ، فما يطرحه من علامات استفهام جوهرية يمكن أن توجه بالتبعية إلى الأديان السماوية الأخرى ومنتسبيها. وهو ما يجعل من الدراسات المقارنة المستقبلية بين هذه الرواية العبرية، وأية نصوص إبداعية أخرى باللغة العربية توصية تستحق الاهتمام.

قائمـــة المـــصادر والمراجـــع

أولاً : باللغة العربية

١ – الكتب

- أحمد محمود هويدي، مصطفى عبد المعبود منصور، أحمد عبد المقصود الجندي. اليهودية: دراسة تاريخية وصفية. بيان للترجمة والنشر والتوزيع. القهرة ٢٠٢١.
- سويسي محمد الصغير. جريمة الإبادة الجماعية: دوافعها وأشكالها. دفاتر السياسة والقانون، دورية دولية متخصصة محكمة في الحقوق والعلوم السياسية. جامعة قاصدي مرباح ورقلة. ورقلة ٢٠١٢.
- شريف حامد سالم. التطور التاريخي لتدوين نصوص العهد القديم. مجلة الدراسات الشرقية، المجلد ٦٣، العدد ١. جمعية خريجي اللغات الشرقية بالجامعات المصرية. القاهرة ٢٠١٩.
- عبد الوهاب المسيري. العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، المجلد الثاني. دار الشروق. القاهرة ٢٠٠٢.
- عصام سخنين. الجريمة المقدسة: الإبادة الجماعية من أيديولوجيا الكتاب العبري إلى المشروع الصهيوني. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. بيروت ٢٠١٢.
- قاسم عبده قاسم. الخلفية الإيديولوجية للحروب الصليبية: دراسة عن الحملة الأولى ١٠٩٥-١٠٩٩م. عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية. القاهرة ١٩٩٩.
- ليث مزاحم خضير العبدوس. أيديولوجية العنف المسلح في تصورات الأصولية الإسلامية المعاصرة دراسة نماذج. شركة دار الأكاديميون للنشر والتوزيع. عمان ٢٠٢١.
- مايكل برير. الكتاب المقدس والاستعمار الاستيطاني: أمريكا اللاتينية، جنوب أفريقيا، فلسطين. ترجمة: أحمد الجمل، زياد منى. الطبعة الثانية. قدمس للنشر والتوزيع. دمشق ٢٠٠٤.
- نعوم تشومسكي، ميشيل فوكو. عن الطبيعة الإنسانية: مناظرة بين نعوم تشومسكي وميشيل فوكو. ترجمة: أمير زكي. دار التنوير للطباعة والنشر. القاهرة ٢٠١٥.
- هاني عبد العزيز جوهر. اليهود في فلسطين في العصرين البطلمي والسلوقي: المكابيون–دراسة في الناحية الدينية والسياسية. عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية. القاهرة ٢٠٠٥.

- هـ ام دل م. الإن ان والق اسة في الـ قارة الفل ة الـ ي ة ع مارسا
إ اد. دروب لل والـ زع، دار الـ ازور العل ة لل والـ زع. ع ان ٢٠١٦.
- هوبرتس هوفمان: قانون التسامح: دليل للساعين إلى تحسين أوضاع العالم وللمتشائمين والمؤمنين الثابتين والمفكرين الأحرار. ترجمة: د. عادل خوري. العربي للنشر والتوزيع. القاهرة ٢٠١٤.
- وحدة الدراسات والأبحاث. التيار اليميني في الغرب: الصعود والتأثير. مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات. إسطنبول ٢٠١٧.
- يحيى زكريا. مفهوم "العهد" في التصوف "اليهودي". الشقري للنشر. القاهرة ٢٠١٦.

٢ – المقالات

- عبد الناصر سلطان محسن، عبدالله عوض العجمي. المفهوم الغربي للمقدس والمدنس في العصر الحديث. مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، مجلد ٣٠، عدد ١٠٣. مجلس النشر العلمي-جامعة الكويت. الكويت ٢٠١٥.
- فهد بن محمد القرشي. التفكيكية مفهومها-أصولها-تطورها-نقدها. مجلة أبحاث، العدد ١٩، جامعة الحديدة، سبتمبر ٢٠٢٠.
- محمد بنعمر. التأويلية وقراءة النص الديني. التفاهم، المجلد ١٥، العدد ٥٧-٥٨. وزارة الأوقاف والشؤون الدينية. مسقط ٢٠١٧.

٣ – مواقع الإنترنت

- أحمد محمد عبد الرؤوف المنيفي. جريمة الإبادة الجماعية للفلسطينيين في غزة وفقًا لنظام المحكمة الجنائية الدولية. المؤلف. القاهرة ٢٠٢٣. ص ١٤ – ١٥. متاح في : http://www.noor-book.com . دخول في : ٢٠٢٤ – ٠٩ - ١٩ .

ثانياً : باللغة العبرية

١ – המקורות

- גולמן, סרג'. עמלק. מנדלי, שניים שרותי ניהול ויישום ממוחשבים, 2015.

٢ - הספרים

- גייגר, יוסף, מ' כותן, חנה, ד' שטיבל, גיא (עורכים). ישראל בארצו: קובץ מאמרים ליובלו של ישראל שצמן. האוניברסיטה הפתוחה, החברה לחקירת ארץ-ישראל ועתיקותה. רעננה 2009.
- יצחקי, ידידיה. בראש גלוי: יהדות כתרבות- היבטים חדשים. ספרות פועלים-הקיבוץ המאוחד. הדפסה שנייה. בני ברק 2011.

- פישר, יוכי (עורכת). חילון וחילוניות. הוצאת מכון ון ליר, הוצאת הקיבוץ המאוחד. תל אביב 2015.
- מחקרי ירושלים במחשבת ישראל, כרך 26. המכון למדעי היהדות ע"ש מנדל.
- רכניץ, עדו. מדינת-התורה הדמוקרטית. מכון משפטי ארץ. עפרה 2022.

٣ - المسوت والمقامرين

- בלברג, מירה. והפעם, ברגש: עיצובה של עבודת הקורבנות בין ספרות חז"ל לשיח הדתי–לאומי. תאוריה וביקורת, 46, קיץ 2016.
- ברמן, יהושע. קלקוליו של חקר המקרא. השילוח, כתב עת ישראלי להגות ומדיניות, גיליון 7, כסלו תשע"ח- דצמבר 2017.
- גרוסמן, יונתן. "את אשר תדר שלם": למשמעות מאבק יעקב והמלאך. מגדים, בטאון לענייני מקרא, גיליון כו, 1996.
- כצמן, חיים. ציונות-דתית. מפתח, גיליון 17, 2022.
- לוביץ, רונן. מחיית עמלק והאוייב הערבי בין פרשני המקרא לרבני זמננו. שנתון, כרך כב, תשע"ז.
- פריש, עמוס. מלחמות שאול ומלחמות דוד בספר שמואל: מבט ספרותי. בית מקרא, כרך 54, גיליון 2, 2008.
- רוזנק, אבינועם. מוסר, מלחמה ושלום במשנת הרב קוק ותלמידיו: המפגש בין אוטופיה למציאות. מים מדליו, שנתון המכללה הדתית למורים ע"ש ליפשיץ, 26-25, תשע"ד- תשע"ה, ירושלים.
-

٤ - אתרי האינטרנט

- http://www.e-vrit.co.il/author/2219 . נכנס ב : 2024 – 09 - 27 .
- ברסקי, אנה. נתניהו באגרת לחיילים: " זכור את אשר עשה לך עמלק, נביס את הרוע". 03-11-2023. ניתן למצוא באתר :
http://www.maariv.co.il/news/politics/Article=1049593 . נכנס ב : 20-09-2024 .
- שטרסברג, שלמה. בירור הלכתי במצוות מחיית עמלק. ניתן למצוא באתר:
http://www.yolanda.org . נכנס ב: 26–09–2024 .

5 – המילונים והאנציקלופדיות

- אנציקלופדיה מקראית: אוצר הידיעות על המקרא ותקופתו, ג(חבב-יתת). הוצאת מוסד ביאליק. ירושלים 1965.
- האנציקלופדיה העברית: כללית, יהודית וארצישראלית, כרך עשרים וששה, סבות-עמר אבן אל-עאץ. חברה להוצאת אנציקלופדיות. ירושלים תשמ"ד.

ثالثاً : باللغات الأوروبية

- A. Berman, Joshua. Inconsistency In The Torah: Ancient Literary Convention And The Limits of Source Criticism. Oxford University Press. Oxford 2017.
- Chilton, Bruce. Abraham's Curse: Child Sacrifice In The Legacies of The West. Doubleday. London 2008.
- Jean, Jaeyoung and C.Jonker, Louis. Chronicles and The Priestly Literature of The Hebrew Bible. Walter De Greater GmbH. Berlin 2021.
- Shalit, Erel. Enemy, Cripple & Beggar: Shadows In The Hero's Path. Fisher King Press. Ontario 2008.
- Hastings, James. encyclopedia of religion and ethics, Vol. 6. Charles Scribner' Sons. New York 1913.